

المواطنة في فكر الحركات الإسلامية حركة الإخوان المسلمين نموذجا

د. رائد نعييرات

أستاذ العلوم السياسية في جامعة النجاح الوطنية
رئيس المركز الفلسطيني للديمقراطية والدراسات
نابلس، فلسطين 2012

تعتبر قضية المواطنة وعلاقتها بالتنمية السياسية في العالم العربي من أكثر القضايا التي شغلت بال المفكرين السياسيين ، فمن ناحية لم تستطع الدولة القومية العربية أن ترسخ فكرة المواطنة في المجتمعات العربية على مدار العقود السابقة ، وبقيت الولاءات الفرعية في المجتمع والنظام السياسي هي المهيمن على الهويات الوطنية ، فطغت أحيانا ألعائلة ، وأحيانا أخرى الحزب ، على الهوية الوطنية العامة في النظام السياسي .

أما قضية التنمية فهي كذلك تعتبر من أهم إشكاليات النظام السياسي العربي ، وأرجعها العديد من الباحثين على اعتبارها نتيجة لعدم قدرة النظام السياسي على خلق هوية المواطنة لدى مختلف شرائح المجتمع . وبالتالي فالنتيجة الحتمية كانت انشغال مختلف شرائح المجتمع في القضايا الثانوية على حساب الاهتمام بقضايا التنمية ، اما النظام السياسي فقد كان جل اهتمامه الحفاظ على النظام ، ولو على حساب الدفع باتجاه الهويات الفرعية بدل صهر القوى المجتمعية المختلفة في هوية واحدة وجعل موضوع المواطنة هي المقدس لدى الفرد ولدى الجماعات .

تأتي أهمية هذه الورقة كونها تعالج موضوعا قديما جديدا وتتعاظم هذه الأهمية في العالم العربي اليوم نتيجة لعدة أسباب ومحددات :
أولا: الربيع العربي وما افرزه من فوز للحركات الإسلامية وبالذات حركة الإخوان المسلمين.

ثانيا : الإشكاليات المفاهيمية التي تواجه المجتمع تجاه الحركات الإسلامية (حركات الإسلام السياسي).

ثالثا: ظهور الانقسامات المتعددة ونمو تيارات إسلامية مختلفة.

رابعا : دخول الحركات السلفية إلى ميادين العمل السياسي.

كل هذه المبررات تجعل من قضية البحث في موضوع المواطنة في فكر حركة الإخوان المسلمين قضية في غاية الأهمية في عالمنا المعاصر. فالحركة تعتبر التيار الوسطي في عالمنا المعاصر اليوم إذا سرنا على اتجاه السلفية – الليبرالية ، نجد إن حركة الإخوان تعتبر من الاتجاه الوسطي ، ثانيا تعتبر الحركة من أكثر

الحركات السياسية في العالم العربي فيا يخص العراق والقدرة السياسية لما تمتلكه من إمكانيات وطاقات بشرية إضافة إلى تاريخها الطويل في العمل السياسي ، كما وتتميز حركة الإخوان المسلمين على باقي الحركات المعارضة في العالم العربي في احتفاظها بالتماسك التنظيمي والانتشار الشعبي الواسع .

الا انه لا يخفى على احد الإشكالية الكبرى التي تواجه المجتمع العربي اليوم والمتمثلة في التخوف العام من هذا الوافد الجديد ، والذي يرى الباحث ان مرده لعدة أسباب: الأول وهو طبيعة الديمقراطية الجديدة وغير المكتملة دستوريا وثقافيا في المجتمعات العربية ، ثانيا الصورة النمطية الماخوذه عن الحركة على مدار العقود السابقة والتخوف الذي اعتمدته الأنظمة الدكتاتورية منهاجها لها ، ثالثا ما تقدمه الشخصيات المحسوبة على التيارات الإسلامية اليوم من اجتهادات وتصريحات سياسية يتعامل الجمهور معها على أنها تمثل الإسلام كرفض فكرة الديمقراطية ، وغزوة الصناديقالخ.، وبالتالي يتم إطلاقها على كل حركة إسلامية بغض النظر عن هذه الحركة .

تنطلق الورقة من افتراض أساسي أن حركة الإخوان المسلمين اليوم تواجه تحديا كبيرا في خلق فكرة المواطنة الكاملة لدى الشعوب العربية ، والتي إذا تم إيجادها فمن شأنها أن تحقق التنمية .

وبناء على هذا الافتراض تم تفحص ما تمتلكه الحركة من مقومات ذاتية ستجعلها قادرة على تحقيق الهدف المنشود ، ولذلك تم تفحص منهجية الحركة في العمل السياسي على مدار العصور السابقة والتي تم الخروج منها ببوصلتين أساسيتين : الأولى : تبني الحركة وقياداتها ومفكرها ” لفكرة الوسطية “ منذ منتصف الثمانينات وما رافق ذلك من تطور في الاجتهادات السياسية للحركة إلى أن وصلت إلى فكرة الدولة المدنية .

ثانيا: إن السلوك السياسي للحركة لم يكن محكوم فقط إلى القاعدة الفكرية المسبقة للفعل ، بل أننا نشهد كثيرا أن الواقع غالبا ما كان موجهها وصانعا للقواعد الفكرية (برغماتية الحركة)

علاوة على هذه المحددات فيجب عدم تجاهل ظهور ما يمكن تسميته الحركات (نيو اخوانية) أو ما بعد الاخوانية والتي ولدت من رحم الإخوان ولكنها تمتلك اجتهادات سياسية تعتبر أكثر ليبرالية من اجتهادات الإخوان المسلمين السياسية . ومن هنا نجد ما تقدمه الحركة اليوم من أسس فكرية أصل لها مفكروها يعتبر في غاية الأهمية عند الحديث عن موضوع المواطنة خاصة أن هذا التأصيل يعتبره الباحث إضافة نوعية فهو يمزج بين أملاءات الواقع واجتهاداته لدى المفكرين السياسيين ، و البعد الديني الإيماني حتى يتحول إلى ثقافة مجتمعية وهنا تأتي أهمية هذا الاجتهاد والتأصيل حيث أنها من شأنها أن تحول ثقافة المواطنة إلى قيم اجتماعية معاشة وليس فقط قضايا تخص المنشغلين بالعمل السياسي والنخب ، فالدكتور القرضاوي يقول إن الله عز وجل ربط بين الوطن وقتل النفس ” ولو إنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم“ وبالتالي ربط القرضاوي بين أعظم جريمة في الإسلام وهي القتل وما يقابلها بإلغاء المواطنة عن الإنسان. أما عبد المنعم أبو الفتوح المرشد العام السابق لحركة الإخوان المسلمين فيعتبر ان المواطنة كما يعتبرها علماء الأصول اليوم أصبحت فرض عين ، وذلك لان المخاطر التي تواجهها المجتمعات العربية والإسلامية اليوم مرتبطة بالتماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي ، ولن يحل هذه القضية حسب نظر أبو الفتوح إلا المواطنة والحرية في ظل دولة القانون . ومن هنا فيعرف المواطنة على أنها علاقة اجتماعية تقوم بين الفرد والدولة ، يقدم الفرد الولاء والانتماء وتقدم الدولة الحماية والأمن واهم ما يميز هذه العلاقة المساواة أمام القانون.

أما الدكتور عصام العريان والذي يعد ابرز مفكري الجماعة خاصة انه يدمج بين الطابع التفكيري النخبوي والممارس للعمل السياسي والحركي داخل الجماعة فقد، قدم تفصيلات متعددة لموضوع المواطنة ،حيث يعتبر أن المواطن هو كل إنسان ينتمي إلى الوطن بغض النظر عن العرق أو الجنس أو اللون والدولة الإسلامية تضم المواطنين على اختلاف عقائدهم الدينية شريطة أن ينتموا إلى هذا الوطن

وعنوان الانتماء هو وثيقة الجنسية الوطنية . كما ذهب العريان إلى أن الأمة هي مصدر السلطات في الدولة الإسلامية ، وان الدولة الإسلامية دولة تعددية ، تعددية في أديان مواطنيها ، وتعددية في أحزابها . ومن هنا نجد أن العريان قد أصل لكل الإشكاليات والتخوفات التي طالما خلجت في ذهن المواطن تجاه الدولة الإسلامية ونظام الحكم الإسلامي، وبالذات فيما يخص الجزئيات المتعلقة بمفهوم المواطنة ، فمصدر السلطات هو الأمة ، والمواطنة غير مقتصرة على المسلمين وإنما تشمل كل من يقطن الدولة الإسلامية -المدنية-علاوة على التعددية وبخاصة الأحزاب حيث ذهب العريان أن سلطة المنح والمنع للأحزاب ليست سلطة السلطة السياسية وإنما هي من اختصاصات السلطة القضائية .

أما راشد الغنوشي فقد ذهب لمناقشة قضايا فلسفية أكثر عمقا وشائكية فيما يخص قضية المواطنة وعلاقتها بالعلمانية والليبرالية في المجتمعات الغربية ، وهل هي حتمية تاريخية ، وتوصل الغنوشي ان لا علاقة بحتمية وارتباط العلمانية وتطورها في المجتمعات الغربية بمفهوم المواطنة ، وليس شرطاً أن تتطور المجتمعات علمانيا حتى تصل إلى مفهوم المواطنة.

هذه المجهودات وغيرها كانت الفيصل في حسم فكرة الدولة المدنية عند الإخوان ، ورفض فكرة ان الدولة الإسلامية دولة دينية ، والتي تنطلق من مجموعة من القواعد والأسس :

الأساس الأول: هي دولة كل مواطنيها ، بغض النظر عن اللون والجنس والدين .
الأساس الثاني :دولة تعددية دستورية يحكمها الدستور والمواطنين متساوين فيها أمام القانون والقضاء ، وعلماء الدين فيها هم كباقي العلماء المختصين الذين يلجأ إليهم للمشورة في القضايا التي تخصهم.

الأساس الثالث: إن شكل نظام الحكم فيها برلماني ، بحيث تكون السلطة العليا بيد البرلمان .

الأساس الرابع: التعددية ، فالمجتمع السياسي في الدولة المدنية التي ينشدها

الإخوان اليوم هي دولة المجتمع التعددي القائم على صهر مختلف التمايزات الاجتماعية في بوتقة المواطنة .

الأساس الخامس :دولة تداولية ، فالسلطة بها متداولة وليست حكرا لشخص أو لمجموعة أو لطائفة .

هذه الأسس جميعها وردت في البرنامج الانتخابي لحزب الحرية والعدالة الجناح السياسي لحركة الإخوان المسلمين في الانتخابات المصرية ، كما ان ما صدر من تصريحات للشخصيات القيادية في الردود على بعض التفصيلات الجزئية ، قد ذهب بعيدا فيما يخص تفصيلات المواطنة ، حيث ذهب الدكتور محمد مرسي مرشح الإخوان المسلمين للرئاسة إلى انه يعتزم جعل احد نوابه من الأقباط . وفي قضايا الجزية ، وأهل الذمة في الدولة الإسلامية وهي الأسئلة التي لطال النقاش حولها ، فقد قدمت العديد من الاقتراحات التي تجعل هذا التمايز تمايزا ايجابيا لصالح الأقلية وليس العكس كما هو متخيل سابقا ، فبالإضافة إلى أن الأقليات تتمتع بصفة المواطنة الكاملة على أساس الشراكة في الوطن ، وتحمل المسؤوليات والواجبات ، إلا أنها كذلك تتمتع بخاصيتها الاجتماعية ، فالسلوك الاجتماعي لهذه الأقليات محكوم لقواعدها الدينية .

DR RAID M. H. NAIRAT

An-Najah National University

Nablus, Palestine

Phone: +970 9 2339942

Fax: +970 9 2339942

Email: watannai@yahoo.com

PROFESSIONAL EXPERIENCE

- Assistant Professor, Political Science Department, An-Najah National
- University, Nablus, Palestine (Fall 2000-2010).
- Head of Department, Political Science Department, An-Najah National University, Nablus, and Palestine (Fall 2004-2008).
- HEAD Of the Palestinian Center for Democracy and Studies Research.
- Lecturer, Al-Quds Open University, Jenin, Palestine (Fall 2002-2005).
- Member of the Board of trustees .Journal of International Relations
- Research.(JIRR)

EDUCATION

- Ph.D. Institute of International Relations, Kiev, Ukraine. Awarded 2000. Dissertation title: “The Palestinian Problem in US Foreign Policy through the 1980s and 1990s”.
- Diploma, Institute of International Relations, Kiev, Ukraine. Thesis title: “US Policy in the Middle East, 1990-1995
- **SELECTED PUBLICATIONS & PRESENTATIONS**
- Refereed paper: ‘Withdrawal from Gaza and Northern W.B: Response or Maneuver’. Middle Eastern Studies Journal, Volu

-
- Refereed paper: "The impact of the Disengagement plan on the West Bank", Baheth studies, N8. 2004. Beirut, Lebanon.
- Refereed Paper: "International Policies toward the Palestinian Cause 2005". Palestinian Strategic Report 2005. Beirut. 2006
- Refereed Paper: "Impact of Hamas political culture on hamas, governance political behaviour", An-najah University Journal for research-B. Volume 22, No 4, Des 2008.
- Refereed Paper: "Political Trends of Netanyahu gov,t and its impact on peace process (2009-2010). Hebron University .Journal for research. 2011
- Refereed Paper: "USA policy Toward Palestine During Obama,s administration. Alquds open university. ALQuds Open University Journal for research and Studies. 2011.
- Refereed Paper: "HAMAS and Peace Process." Azaytoona Center for studies and consultations". Beirut .2011
- Presentation: 'The Impact of Israeli Policy on the Palestinian Elections Process', Middle East Studies Center, Amman, Jordan, September 25, 2004.
- Presentation: 'Palestinian Elections: Hopes and Obstacles', An-Najah National University, Nablus, Palestine, September 28, 2004.
- Presentation: Hamas and P.L.O chances and obstacles. Alburaq research center, Ramalla, Palestine, 15 June 2005.
- Presentation: The Horizon of Israeli role in its Regional and Global policies until 2015. Israel and Its future until 2015. Amman. Middle east studies center.
- Presentation: "Settelments in the West –bank the impact of the demographic changes. GeoPalestine 2010. An-Najah National University. 12-16 July 2010.
- Presentations. "The Future & Scenarios of the Arab- Israeli Conflict. Amman 2011.

Selected Projects:

- Evaluating Hamas,s Government ,Since the 2005 elections until the Takeover of Gaza.2010
- Head of the team on the conference “International changes and its Impact on the Palestinian Cause” 2009.
- Head of project “EU Policies in Palestinian territories” .2011
- Tutor of many thesis of master degree on topics related to Palestinian cause, peace process, Palestinian dynamics .

Selected Trainings:

- Training for the PLC members on policy Making and Good Governance.
- Trainings for the COs on Capacity Building and, Leadership and their role as civic leaders.
- Trainings on, political analysis, negotiations.
- Training to graduated students on” The way to getting job in civil society organizations.
- Many articles in Newspapers and journals
- Many Interviews on T.v, Satellite, Local and International.